مجلة منتدى الأستاذ
المجلد: 21 العدد: 01 السنة: ديسمبر 2025 الصفحات 125- 138

نماذج من أغراض الشّعر عند الكنتيين بالصّحراء الكبرى: الفخر ، المدح والهجاء

Examples of the purposes of poetry among the Kentians in the Sahara: pride, praise and satire

نور الدين كنتاوي[1]،*

[1] *جامعة أمين العقال حاج موسى أق أخاموك/ تامنغست (الجزائر)، kantaouinoureddine@univ-tam.dz*
مخبر الممارسات اللّغويّة والأدبيّة في منطقة الصّحراء الجزائريّة وامتداداتها في منطقة السّاحل الإفريقي.

تاريخ الإرسال: 2025/08/06 تاريخ القبول: 2025/08/25

الملخص:

يتناول هذا المقال دراسة أغراض الشعر الرئيسة عند قبيلة كنتة بالصحراء الكبرى، وخاصة أغراض الفخر، والمدح، والهجاء. يهدف البحث إلى إبراز الدور الثقافي والأدبي لشعراء الكنتيين في المنطقة وإظهار إسهاماتهم الأدبية في إثراء الساحة اللغوية والأدبية المحلية. اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي من خلال جمع النماذج الشعرية وتحليل مضامينها ودلالاتها، مع الاستناد إلى مصادر تاريخية وأدبية حول القبيلة وشعرائها. ومن أبرز تساؤلات البحث: كيف انعكس الدّور الحضاري والديني للكنتيين على أغراض شعرهم؟ وما المميزات الخاصة التي طبعت شعرهم ضمن أغراض الفخر والمدح والهجاء؟ كما يستفسر عن مدى خصوصية هذه الأغراض في السياق الصحراوي الأفريقي مقارنة بالشعر العربي الكلاسيكي.

الكلمات المفتاحية:
الكنتيون؛
الصحراء الكبرى؛
الشعر العربي؛
الأغراض الشعرية؛
الدور الثقافي؛

ABSTRACT:

This article examines the main purposes of poetry among the Kunta tribe in the Sahara Desert, particularly the purposes of pride, praise, and satire. The research aims to highlight the cultural and literary role of the Kunta poets in the region and to showcase their literary contributions in enriching the local linguistic and literary scene. The researcher relied on the descriptive-analytical method by collecting poetic samples and analyzing their contents and connotations, with reference to historical and literary sources about the tribe and its poets. Among the most prominent research questions: How did the cultural and religious role of the Kintis reflect in the themes of their poetry? And what are the specific characteristics that marked their poetry within the themes of pride, praise, and satire? He also inquires about the specificity of these themes in the African desert context compared to classical Arabic poetry.

Keywords:
The canyon,
The Sahara,
Arabic poetry,
Poetic purposes,
The cultural role,

* نور الدّين كنتاوي.

مقدمة:

شهدت الصحراء الكبرى جنوب الجزائر، وما جاورها من المناطق الشمالية التابعة لدولة مالي حديثاً في القرن الثاني عشر الهجري، حركةً علميةً نشطةً، وكانت بجانبها حركة لغوية وأدبية زاخرة. وبحكم أن قبيلة كنتة، وهي القبيلة العربية الجزائرية، استوطنت هذه المناطق منذ زمن بعيد، كانت فاعلاً بارزاً في بروز هذه الحركة وإذكائها، فبرز منها شعراء كبار أثروا الساحة الأدبية بقصائد ومنظومات شعرية ورسائل أدبية عدة. ومن بين هؤلاء الشعراء: الشيخ المختار الكنتي، والشيخ سيدي محمد الكنتي، والشيخ سيد أحمد البكاي الكنتي، وقبلهم اللغوي الأديب سيد المختار بن محمد الأمين الرقادي الكنتي. وفي هذا المقال سنتعرض لأغراض ثلاثة من أغراض الشعر العربي عند هذه القبيلة: الفخر، والمدح، والهجاء.

التعريف بالقبيلة الكنتية:

قبيله كنته هي إحدى القبائل العربية الشهيرة، وأغلب تواجدها في الصحراء الكبرى من موريتانيا إلى النيجر وإلى جنوب الجزائر. وينتهي نسبها إلى عقبه بن نافع الفهري فاتح افريقيا ومؤسس مدينه القيروان[1]، يقول صاحب موسوعة القبائل العربية: "وتشتهر قبيله كنته بالعلم والورع والتقوى ونشر الاسلام في المناطق الأفريقية المتاخمة لها"[2].

وقد لعبت هذه القبيلة دوراً هاماً وبارزاً في نشر تعاليم الدين الإسلامي واللغة العربية في جنوب الصحراء ودول الساحل الإفريقي والسودان الغربي، من خلال زواياها العديدة ومدارسها المنتشرة عبر هذه الربوع المذكورة. وفي هذا السياق يقول أحمد زيادية في كتابه "دراسة عن إفريقيا": "بين منطقة أروان في موريتانيا الحالية وتوات في الجنوب الغربي من الجزائر، توجد زاوية باسم زاوية كنتة، كان يرتادها طلاب العلم ويجدون فيها ضالتهم من حيث الإيواء والدراسة بشكل خاص"[3].

ولم يقتصر دور القبيلة الكنتية في نشر الإسلام واللغة العربية وتأسيس الزوايا والمدارس فقط، بل امتد إلى إنشاء مراكز علمية هامة ومدن صارت مراكز لنشر الدين والإسلام، يقول عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: "وفي أوائل القرن الثاني عشر، أسّس شيوخ الكنتي مدينة المبروكة التي صارت مركزاً لنشر الطريقة القادرية، وظهرت بين جماعة كنتة عدد كبير من الفقهاء الذين صارت لهم القيادة الدينية في القرن الثامن عشر وتوسعوا خارج حدود القبيلة، وظهر سيدي مختار الكنتي الذي نجح، بسبب تمتعه بصفات حميدة وثقافة عالية، أن يصبح قطب الطريقة القادرية"[4].

يتفق أهل الصحراء عامةً وغيرهم من المؤرخين والباحثين على أن قبيلة كنتة لها تاريخ طويل في صحراء الجزائر (توات) وإفريقيا الغربية بحكم مشاركتها الفعالة في إسلام الزنوج ونشر الثقافة الإسلامية. يقول قدور منصورية: "كنتة هي إحدى العائلات العربية التي استوطنت المنطقة التواتية قديمًا، وكان لها تاريخ طويل في المنطقة على مرّ العصور التواتية، حيث ارتبط نسبها بالقائد عقبة بن نافع رضي الله عنه، واستمدت كنيتها الشهيرة من جدها الأكبر سيدي محمد الكنتي بن الشيخ سيدي علي، فصارت القبيلة أو السلالة القبلية تعرف بآل كنته، والتي امتدت جذورها من توات (الجزائر) وتفرّعت حتى إفريقيا الغربية، أي بلدان السودان"[5].

وكانت قبيله كنتة إحدى القبائل العربية المساهمة بنشر تعاليم الطريقة القادرية في إفريقيا الغربية، وذلك عن طريق التجارة والدعوة والهجرة. يقول صاحب كتاب "الدعوة إلى الإسلام": «ودخلت القادرية في إفريقيا الغربية في القرن الخامس عشر على أيدي مهاجرين من توات، وهي واحة في النّصف الغربي من الصحراء فاتخذوا من ولاتة أول مركز لطريقتهم»[6].

وقبل ذلك، كان الكنتيون نشطين في الساحة العلمية، واللغوية، والأدبية، والروحية، ويشكلون علاقات علمية خارج حدودهم الجغرافية. يقول عبد الله عبد الرزاق: «وأصبح سيدي علي الكنتي قطباً للطريقة القادرية... وعندما انتقلت قبائل كنتة في القرن الخامس عشر إلى توات، حملوا معهم الطريقة القادرية، وفي هذه الواحة تطوّرت الطريقة في النصف الثاني من القرن الخامس عشر... وكان شيوخ كنتة يزورون بورنو ويطبقون الطريقة القادرية»[7].

كنتة والشعر:

الشِّعر أداة من أدوات التعبير عن الفكر؛ فمنذ عصور الأدب العربي الأولى وهو المعبِّر عن أحوال العرب فرحاً كانت أم حزناً، وهو مثيرٌ من مثيرات العاطفة العربية. وكانت القبيلة الكنتية، كغيرها من القبائل العربية، تحمل في أصالتها فطرة إبداع الشِّعر الذي يشكِّل تراثاً ضخماً تعاورته الأيام والسنين، وامتهن منه الكثير في جداول الصحراء ومجالها. وما وصلنا منه إلا القليل الذي استكثره الناس، وما ذلك إلا لعدم معرفتهم بالأصل المتمثل في الزوايا الكنتية التي كانت تحتفظ بالكثير من هذا التراث، لولا الاستعمار الذي أخذ الكثير منها قسراً ورهبة لا رغبة.

وقد حدثني الوالد – حفظه الله – أن هناك قصائد شِعرية لأدباء كنتيين لم يعد يُسمع عنها اليوم لانقطاع العهد بها بسبب الجهل والاستعمار، وهذا يصدقه التاريخ، فلو وقفت على رسالة مولاي علي بن مولاي الزين بن سيدي حمو بن الحاج، جد الشرفاء الرقاديين، المؤرخة بأواسط جمادى الثانية 1059 هجري بتافلالت، والموجهة إلى أخيه المتمدرس بالمدرسة الرقادية الكنتية آنذاك، لعلمت حقيقة ذلك. ومما جاء في الرسالة: «ولقد ذكرتنا رسالتكم بما كنا نتلقاه في أيام الدراسة بمجالس السادات النقاد، معادن الفصاحة والبلاغة في المعتاد من المتقدمين من مشايخ بني الرقاد، وما جبلوا عليه وظهرت عليهم آثاره من النفحات الربانية والأساليب الفصيحة الأدبية والتعابير البلاغية مع الأحوال السنية، فلا وربك ما هي إلا نفحة من نفحاتهم ورميةٌ من كنتاتهم»[8]. ويقول الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني التواتي عن شيخه سيدي عمر بن محمد المصطفى بن احمد بن سيدي محمد الرقاد: «... كان فصيحا ذا رنة حسنه دخل عليَ المدرسة وفي يدي نسخه من مقصوره بن دريد بشرح بن هشام فأخذها وجعل يقرأها فازدهاني بحسن فصاحته واستفزني بحسن صوته وفي اثناء ذلك يستشهد على لغتها بكلام الحرير في مقامتها لأنه كان يحفظ اكثرها»[9].

الأغراض الشعرية عند الكنتيين:

لقد تناول الشُّعراء الكنتيون الكثير من أغراض الشِّعر المتعارف عليها في الأدب التقليدي، نذكر منها:

الفخر:

وهو غرض يجمع جملة من القيم يتغنى بها الشُّعراء، لا يكادون يتجاوزونها، ومنها الشجاعة، الجود، عراقة النسب. وهي عيون المآثر العربية التي ينبغي أن تتوافر عند القبيلة العربية التي ترنو إلى مكانة مرموقة في المجتمع العربي. وهذه المآثر هي محور التفاخر والتباهي آنذاك، وهي القاموس المشترك الذي ينهل منه كل شاعر عربي. وفي هذا المضمار يقول المختار الكنتي:[10]

يَا أَيُّهَا الْمُتَحَلِّي غَيْرَ شِيمَتِهِ * أَقْصِرْ فَلَيْسَ وُجُودُ الْعَيْنِ كَالْأَثَرِ

هَذِي مَيَادِينُ كَعٍّ دُونَ غَلْوَتِهَا * حِمَارُكَ الْأَعْوَرُ الْمَهْزُولُ ذُو الدَّبَرِ

وَإِنْ تَزَبَّبَ الْحِصْرِمُ الْمُلْقَى بِغَابَتِهِ * وَلَيْسَ يُشْبِهُ طَعْمَ التَّمْرِ وَالسُّكَّرِ

وَإِنْ تَنَسَّرَ عُصْفُورٌ يُكَذِّبُهُ * بَيْنَ الْبَرِيَّةِ نَقْصُ الْقَدْرِ وَالْقَدَرِ

مَا كَانَ لِلَّهِ دَامَ الدَّهْرَ مُتَّصِلاً * وَمَا لِغَيْرِ الْإِلَهِ مُجَّ بِالضَّجَرِ

لَا يَنْقُصُ الشَّمْسَ قَدْرًا وَهِيَ ضَاحِيَةٌ * نُبَاحُ كَلْبٍ عَلَى الْعِلَّاتِ مُحْتَقَرِ

قَدْ يَنْبَحُ الْأَسَدَ وَهُوَ لَا يُمَاثِلُهَا * وَيُنْكِرُ الْعُمْيُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ ضَرَرِ

وَيُنْكِرُ الْجُعَلُ الْمِسْكَ الثَّمِينَ فَلَا * يَحْظَى بِنَفْحَتِهِ كَالْجِنِّ وَالْبَشَرِ

كُلٌّ عَلَى قَدْرِهِ حُكْمٌ يُصَرِّفُهُ * رَبُّ الْبَرِيَّةِ لَيْسَ الْمِسْكُ كَالْبَعَرِ

فَحَظُّ كُلِّ لَئِيمٍ شَتْمُ سَيِّدِهِ فَقِسْ * فَلَيْسَ الدَّرَارِيُّ الشُّهُبُ كَالْحَجَرِ

فَلَا يَجُودُ بَخِيلٌ فِي تَصَرُّفِهِ * وَلَا يَسُودُ حَسُودًا آخِرُ الْعُمُرِ

يُنَازِعُ اللَّهَ فِي فَضْلٍ يُصَرِّفُهُ * بَيْنَ الْكِرَامِ فَيُجْزَى مِنْهُ بِالْغِيَرِ

فَإِنَّمَا الدِّينُ نُصْحُ اللَّهِ تَبِيعُهُ * نُصْحُ الْبَرِيَّةِ جَاءَ غَيْرَ ذِي عَوَرِ

لَا يَحْسُدُ النَّاسَ إِلَّا كُلُّ ذِي بَجَرٍ * مُنَافِقٌ فَاسِقٌ قَدْ جَاءَ فِي الْخَبَرِ

وَالنُّصْحُ مِنْ شِيَمِ الْأَحْيَارِ فَاصْغِ لِمَا * أُبْدِيهِ مُنْتَخَبًا مِنْ نُخْبَةِ الزُّبُرِ

لَا يُجْتَنَى التَّمْرُ إِلَّا مِنْ شَمَارِخِهِ * أَوْ يَقْذِفُ الشَّهْدَ إِلَّا النَّحْلُ بِالْوَكْرِ

طِيبُ الْفُرُوعِ يُنَالُ مِنْ مَعَادِنِهَا * وَخَبِيثُهَا تَقْتَنِيهِ مِنْ طَخَى الْمَدَرِ

وَقَدْ نَمَتْنَا الْكِرَامُ مِنْ أَرُومَتِهَا * مِنْ جِذْمِ عَبْدِ مَنَافٍ مِنْ ذِي حَذَرِ

هُمُ الْأَئِمَّةُ قُدْمًا غَيْرَ كَذِبٍ * الْمُنْقِذُونَ الْوَرَى مِنْ رِبْقَةِ الْكَدَرِ

الْقَائِمُونَ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا شَطَطٌ * يُلْفَى لَدَيْهِمْ وَلَا طَيْشٌ عَلَى خَطَرِ

الْحِلْمُ شِيمَتُهُمْ وَالْعَدْلُ سِيرَتُهُمْ * وَالرِّفْقُ حِرْفَتُهُمْ فَجِدَّ وَاخْتَبِرِ

أَعِفَّةٌ يَعْلَمُ الرَّحْمَنُ عِفَّتَهُمْ * وَالْجَارَ يَحْمُونَهُ بِالْبِيضِ وَالسُّمُرِ

مِنْهُمْ وَلِيٌّ وَمِنْهُمْ مُقْسِطٌ بَدَلٌ * وَالْغَوْثُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ قَائِمُ السَّحَرِ

إلى أن يقول:

قُلْ لِلْمُحَاوِلِ شَأْوَ الْقَوْمِ مَهْلَكَةٌ * لَا تُتْعِبْ قَلُوصَكَ لَيْسَ الرَّأْيُ كَالْخَبَرِ

فَلَا تُعَانِدْ وَرُدَّ فَالْقَوْمُ قَدْ شَرِبُوا * عَذْبًا زُلَالًا هَنِيءَ الذَّوْقِ مُنْهَمِرِ

مِنْ دُونِهِ خَرْطُ الْقَتَادِ وَمَعْمَعَةٌ * يَشِيبُ مِنْ هَوْلِهَا الْأَبْطَالُ بِالذُّعُرِ[11]

والقصيدة موجَّهة إلى أحد خصوم المختار الكنتي، ويتضح فيها أن الشاعر يتقمص دور شاعر القبيلة ليدافع عن الحِمى والأعراض. وفي هذا السياق، يقول الشيخ سيدي البكاي[12] بن الشيخ سيدي محمد الكنتي في قصيدته التي وجّهها إلى بعض زعماء الفلان، بخصوص المستشرق "بارث" الذي نزل ضيفاً على الشيخ سيدي البكاي، وأراد البعض قتله:

قُلْ لِجَيْشِ الْفُلَانِ رُمْتُمْ شَنِيعَا * رُمْتُمْ أَمْرًا إِمْرًا عَظِيمًا فَظِيعَا

قَدْ طَلَبْتُمْ ضَيْفِي سَتَلْقَوْنَ ضَيْفِي * يَوْمَ تَلْقَوْنَهُ عَزِيزًا مَنِيعَا

ضَيْفُ حُرٍّ لِحُرَّةٍ بِنْتِ حُرٍّ * وَابْنُهَا حُرٌّ أَجَادَ الصَّنِيعَا

لَمْ تَلِدْنِي إِمَاؤُكُمْ ثُمَّ مَا * رَبَّيْنِي فِي حُجُورِهِمْ رَضِيعَا

إِنَّ ضَيْفِي عِرْضِي وَمَا كَانَ عِرْضِي * بِمُضَاعٍ فَضَيْفُهُ لَنْ يَضِيعَا

وَأَبِي مَنْ عَرَفْتُمْ وَأَبُوهُ * مَا عَدَدْنَا مِنْ سَامٍ إِلَّا رَفِيعَا

مَا عَدَدْنَا مِنْ سَامٍ إِلَّا كَرِيمًا * أَبْيَضَ الْوَجْهِ سَيِّدًا أَوْ قَرِيعَا

لَيْسَ فِي أُمَّهَاتِهِمْ بِنْتُ عَبْدٍ * تَحْمِلُ الْفَحْمَ مِثْلَهَا أَنْ تَبِيعَا

لَمْ تَلِدْنِي بِنْتُ لِحَامٍ وَلَا ابْنُ * لِبَنِي حَامٍ إِلَّا لَنْ أَضِيعَا

لِبَنِي حَامٍ الْأُلَى لَا يَرَوْنَ * الضَّيْفَ إِلَّا نَهِيدَةً وَبَدِيعَا

ابْنُهَا رَبُّهَا وَلَكِنْ أَبُوهَا * رَبَّهُ بَتَّ عِتْقَهُ مُشْتَنِيعَا

عُمَرُ الشَّيْخُ مِنْ بَنِي أَحْمَدَ الْبَكَّايْ * وَيَنْهَى الْوَافِي حُرًّا نَصِيعَا

وَنَهَاهُ الْكُنْتِيُّ نَجْلُ عَلِيٍّ * كَانَ مِنْ عُقْبِهِ الْمُجَابُ صَدِيعَا

إِنَّ عَبْدَ مَنَافِ بْنَ قُصَيٍّ * بْنَ كِلَابٍ بَنِي مُرَّةَ الْمُسْتَنِيعَا

وَلُؤَيٌّ ابْنُ غَالِبٍ وَنِزَارُ * بْنَ مَعَدٍّ وَصَوْا بِأَنْ لَا أَكِيعَا

وَنَهَانِي فِهْرُ بْنُ مَالِكِ بْنِ * النَّضْرِ بِأَنْ أَسْتَرِيبَ وَأَسْتَرِيعَا

تِلْكَ آبَائِيَ الْكِرَامُ وَكَانُوا * ضَيْفَهُمْ لَا يَمُوتُ فِي النَّهَرِ ضَيْعَا[13]

فالشاعر يتغنّى بعراقة النسب، وما يحمله من مآثر حميدة كإقراء الضيف، والذود عنه، والجود، والشجاعة، ومجموع القيم التي يراها الدين الحنيف من الصفات الجديرة بالاتباع، كالوفاء الذي يتحدّث عنه الشاعر في هذه القصيدة، وهو عند العرب من أقدس الأمور. وليس ذلك ببعيد عن قريض الشيخ سيدي البكاي؛ إذ يقول الشيخ سيدي محمد بن بادي الكنتي[14] مفتخراً بقومه وشيمهم:

هَنِيئًا يَا بَنِي الْكُنْتِيّ جَدِّي * لَكُمْ فَضْلاً عَلَى السَّبَّاقِ بَاقِ

وَمَجْدٌ يُفْعِمُ الْآذَانَ صَيْتًا * مِنَ الْأَسْوَاءِ بِالْأَسْوَاقِ وَاقِ

وَعِلْمٌ لَا يَزَالُ لَهُ زَعِيمٌ * بِكُمْ غَوْثٌ عَلَى الشُّرَّاقِ رَاقِ

وَبَذْلٌ يُخْلِفُ الْأَمْطَارَ مَا إِنْ * يُكَدِّرُهُ مِنَ الْإِمْلَاقِ لَاقِ

وَكَأْسٌ مِنْ حَمِيمِ الْمَوْتِ مَلْأَى * بِجَرْعِهَا عَدَّ الْفُسَّاقَ سَاقِ

وَحِلْمٌ يُعْجِزُ الْأَطْوَادَ مَا إِنْ * جَفَاهُ مِنْ ذَوِي الْأَشْدَاقِ دَاقِ

وَحَمْلُ كُلِّ كَلٍّ لَا يُلَاقِي * لَهُ مِنْكُمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ لَاقِ

وَفَضْلٌ لَا يُدَنَّسُ مِنْهُ شَمْسٌ * وَغَيْثٌ مُخْصِبُ الْأَرْزَاقِ زَاقِ

وَقَاكُمْ مِنْ سَقَامِ الذَّمِّ عِرْضٌ * وَعِرْضٌ عَنْ هَجَا الطُّرَّاقِ رَاقِ

فَدُومُوا هَامَةً وَالنَّاسُ ظِلْفٌ * بِكُمْ يُشْفَى مِنَ الرُّشَّاقِ شَاقِ[15]

وهذه صفات كريمة جعل منها الشّعر طبيعة خالصة للوصف والإبداع، فأصبحت بذلك قاموساً مشتركاً ينتقي منه كل شاعر ما يوافق محصلة قومه. ولقد أعجبني قول الشاعر با أحمد الوافي الكنتي:

لَقَدْ طَالَ الْهُجُوعُ وَالِاكْتِئَابُ * وَطَالَ الْبَيْنُ مُذْ نَعَبَ الْغُرَابُ

وَحَنَّ الرَّبْعُ ثُمَّ بَكَى بِدَمْعٍ * تَضِيقُ بِهِ لِكَثْرَتِهِ الرِّحَابُ

عَلَى مَاضٍ أَلِفْنَاهُ مَجِيدٍ * وَنَرْجُو أَنْ يَكُونَ لَهُ إِيَابُ

أَصَاحِ إِذَا عَدَتْكَ دِيَارُ نَجْدٍ * وَلَمْ تُحَدَّ وَلِسَاحَتِهَا الرِّكَابُ

فَعَرِّجْ بِالدَّغَاقِ وَسَاكِنِيهِ * وَنَجْعُ الْكُنْتِيِّ حَوْلَكَ إِذْ تُجَابُ

وَحَيِّ الْأَهْلَ غَرْبَكَ فِي تَلَمُّسِي * مَغَانٍ قَدْ تَعَاوَرَهَا السَّرَابُ

مَغَانٍ قَدْ أَلِفْنَاهُ عُهُودًا * وَفِي أَعْنَاقِ أَصْغَرِنَا السِّخَابُ

هُنَاكَ اللَّهُ يَعْلَمُ كَمْ أَجَرْنَا * طَرِيدًا وَاسْتُذِلَّ بِنَا الصِّعَابُ

وَكَمْ مِنْ عَالِمٍ مِنَّا غَيُورًا * عَلَى السَّمْحَاءِ مَطْلَبُهُ الثَّوَابُ

أَنَارَ الْأَرْضَ عِلْمًا ثُمَّ عَدْلاً * وَلَادَ الْجَاهِلُونَ بِهِ وَتَابُوا

وَضَيْفُ اللَّهِ فِي عِزٍّ لَدَيْنَا * وَنُرْشِدُهُ إِذَا كَثُرَ الضَّبَابُ

بِنَارٍ فِي لَيَالِي الْبَرْدِ تُذْكَى * وَعَارٍ أَنْ تُنَهْنَهَ الْكِلَابُ

وَخَيْلٌ عِنْدَنَا عُدَّتْ لِيَوْمٍ * مُسَوَّمَةٌ مُذَلَّلَةٌ عِرَابُ

فَلَا نَغْزُو بِهَا إِلَّا لِغَازٍ * وَحَتْمًا قَدْ نُصِيبُ وَقَدْ نُصَابُ

فَأَلْزَمْنَا الشَّرِيعَةَ كُلَّ غَاوٍ * وَجَاءَ الْحَقُّ وَانْكَشَفَ الْحِجَابُ

شَبَابٌ فِي تَصَرُّفِهِمْ شُيُوخٌ * وَشِيبٌ بِالسَّفَاهَةِ لَا تُعَابُ

وَجَاءَتْ بَعْدَ ذَاكَ صُرُوفُ دَهْرٍ * وَكَمْ فِي الدَّهْرِ مِنْ صَرْفٍ يُعَابُ[16]

وتكاد تكون مواضيع الفخر عند هؤلاء الشعراء واحدة، تتمثل في تعدد ما جُمِل وحسن من الصفات العربية، والتي تغنّى بها القدماء قبل المحدثين. يقول الشاعر محمد بن محمد بن أحمد الكنتي:

لَنَا الْهِمَمُ الْعَلِيَّةُ عَنْ فَعَالٍ * تُغَايِرُ مَا تُحْسِنُهُ الْعُصُورُ

وَلَسْنَا الْخَاضِعِينَ لِغَيْرِ رَبٍّ * تُرَجَّى مِنْ عِبَادَتِهِ الْأُجُورُ

وَنَعْلَمُ مَا الْإِلَهُ أَرَادَ مِنَّا * وَنَعْلَمُ مَا تُسَاسُ بِهِ الْأُمُورُ

فَمَنْ سَمَّانَا بِالْمَكْرُمَاتِ اسْتَمَالَنَا * وَمَنْ رَامَنَا بِالشَّرِّ سَوْفَ يَبُورُ

وَإِنْ يَبُوءَ بِالْأَنْسَابِ عُدَّ جُدُودَنَا * سَرَاةٌ لَهُمْ فِي الْمَكْرُمَاتِ أُثُورُ

فَلِسَلْسَلَةِ الْأَفْرَادِ أَصْلُ فُرُوعِنَا * إِلَى عَقِبِهِ الْمَشْهُورِ تَمْنَى الْبُدُورُ

فَلَا زَالَتْ مَنَازِلُ نَعْمُرُهَا * مُحَصَّنَةٌ وَسَاكِنُهَا غَيُورُ

بِلَادٌ وَرِثْنَاهَا عَنْ جُدُودٍ تَعَاقَبُوا * عَلَيْهَا وَصَارُوا فِي ثَرَاهَا قُبُورُ[17]

وغير بعيد عن ذلك يقول سيديا بن آدب البوسفي الكنتي:

وَنَحْنُ بَنِي الْكُنْتِيِّ –لَا فَخْرَ– خَيْرُ مَنْ * وَحَقِّ إِلَهِ الْعَرْشِ يَمْشِي عَلَى الْعَفَرِ

كِرَامٌ نَمَتْنَا مِنْ بَعْدِ سَرَّاتِهِمْ * إِلَى أَنْ تَوَسَّطْنَا الذَّوَائِبَ مِنْ فِهْرِ

عَزِيزُونَ أَحْسَابًا وَدِينًا لِعِزِّنَا * يُذَلُّ وَيُحْنَى ذُو التَّمَخُّطِ وَالْكِبَرِ

لَنَا الْعِزُّ لَا بِالْمَالِ وَالْفَخْرُ لَا بِهِ * إِذَا صَانَهُ الْأَرْذَالُ لِلْعِزِّ وَالْفَخْرِ

مَكَاسِبُنَا الْجَاهُ الْوَجِيهُ وَمَالُنَا * مُعَدٌّ لَدَيْنَا لِلْمَحَامِدِ وَالشُّكْرِ

لَنَا النَّاسُ مَلَّكْنَاهُمْ مِنْ مَلِيكِهِمْ * وَنَحْنُ لَهُ طَوْعُ الْأَوَامِرِ وَالزَّجْرِ

غَذَا مَا أَرَدْنَا سَيِّدًا سَادَ سَرْبَهُ * وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهَا ذِكْرُهُ يَجْرِي
وَنَحْنُ بُحُورُ الْعِلْمِ قُدْمًا وَكُلُّنَا * لَدَى الْحَرْبِ كَاللَّيْثِ الْهِزَبْرِ أَبِيّ الْأَجْرِ
لَنَا شَاهِدٌ فِيمَا ادَّعَيْنَا مُصَدَّقٌ * عَدَاةَ الْتَقَيْنَا وَالْأَعَادِيَ بِالْغَمْرِ[18]

الفخر دافعةُ الذود عن الخصال الحميدة التي تتبنّاها كل نفس بشرية سوية قبل أن تكون عاقلة، والفخر كذلك نفثة قبلية شعرية تمحي الصفات الممدوحة عن أن تضيع، كما أنه إلقاء ضوء على ما لم يره الغير.

يقول سيدي المختار الكنتي:

أَلَا أَبْلِغْ بَنِي الطَّغَّانِ عَنَّا * مُغَلْغَلَةً يُصَدِّقُهَا الْخَبِيرُ
بِأَنَّا لَا نَبِيعُ الزَّرْعَ حَتَّى * يَبِيعَ الدِّرَاعَ لَابِسُهَا الْأَمِيرُ
وَإِنَّ الْجَارَ لَيْسَ يَبِيتُ حُلْوًا * وَنَحْنُ قُدُورُنَا مَلْأَى تَفُورُ
وَإِنَّ فِنَاءَنَا لِلضَّيْفِ رَحْبٌ * تُبَادِرُهُ الْكَرَامَةُ وَالسُّرُورُ
وَإِنَّ الضَّيْفَ لَا يَنْفَكُّ يَهْوِي * إِلَى السَّاحَاتِ يَجْلِبُهُ الْخَبِيرُ
وَإِنَّ الْمُتَعَفِّفِينَ إِذَا أَتَوْنَا * نَسُوا لِأَوْطَانِهِمْ إِذْ لَهُمُ الْعَشِيرُ[19]

المدح:

المدح من أبرز الأغراض التي طرقها الشاعر الكنتي، وهو غرض أصيل في الشعر العربي القديم، يقدّم فيه الشاعر صورة نموذجية عن القبيلة أو الفرد الممدوح، فيبرز خصاله ويدافع عنه ويبرر أعماله، ويعدّد مكارمه. أما الشاعر الكنتي فقد ظل وفيّاً لهذا الغرض، مبالِغاً فيه، متأثراً بخطاب المدح العربي الكلاسيكي لكنه أضاف إليه خصوصية صحراوية تمجّد العلم والدين والزهد وأعمال الخير.

وإذا اعتبرنا أنَّ المدح هو تعداد لجميل المزايا، ووصف للشمائل الكريمة، وإظهار للتقدير العظيم الذي يكنّه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا[20]، فإننا نقف على الكثير منه عند بعض شعراء كنتة، وهو في غالبه عندهم لا يندفع للتكسب، بل لإعجاب بالشمائل والأخلاق كالعدل، والشجاعة، والعقل، والعفة، وهي قيم إنسانية خالدة، وقد تكون لأكثر من ذلك، كالذات النبوية المتمثلة في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي يقول فيه الأديب الشاعر سيدي محمد الأمين بن سيدي المختار الكنتي الرقادي، نجيب المدرسة الرقادية بزاوية كنتة:

قِفْ بِالطُّلُولِ فَأَهْلُ الرَّسْمِ قَدْ بَانُوا * وَابْكِ ادِّكَارًا لِأَوْلِي عَهْدٍ بِهِ كَانُوا
وَحَيِّ سَلْعًا وَسَلْعٌ مَنْ عَهِدْتَ بِهِ * إِنَّ الْمُحِبَّ حَلِيفُ الشَّوْقِ نَشْوَانُ
وَقَبِّلِ الرَّسْمَ شَوْقًا وَانْدُبَنْ بِهِ * دَهْرٌ مَضَى حُسْنًا وَالدَّمْعُ تَهْتَانُ
أَلَمْ تَرَ الْوُرْقَ قَدْ تَبْكِي سَوَاجِعُهَا * فَقْدَ الْهَدِيلِ لَهَا نَوْحٌ وَأَلْحَانُ
هَلَّا بَكَيْتَ حَبِيبًا قَدْ شُغِفْتَ بِهِ * حَتَّى فَضَحْتَ وَشَأْنُ السِّكْرِ كِتْمَانُ

تَأَسَّ إِنَّ كَثِيرًا فِي مَحَبَّتِهِ * وَفَى وَمِنْ قَبْلِهِ قَيْسٌ وَغَيْلَانُ

هُمُ الْمُلُوكُ وَمَنْ يُحْبِبْ كَحُبِّهِمْ * يَصْدُقْ وَإِلَّا فَإِنَّ الْحُبَّ بُهْتَانُ

وَاخْلَعْ عِذَارَيْكَ وَاعْذُرْ كُلَّ ذِي عُذُرٍ * وَاعْذُرْ إِلَيْهِ فَإِنَّ الْحُبَّ سُلْطَانُ

فَإِنْ شَدَوْتَ وَقَالُوا قَدْ عُوِّدْتَ فَقُلْ * إِنْ أَغْلُ قَوْلاً فَإِنَّ الرَّأْسَ غَلَيَانُ

إِنْ تَغْلُ تَعْلُ وَإِنْ تُفْرِطْ تُصِبْ فَرَطًا * مِنْ وَصْلِهِ لَمْ يُصِبْهُ الدَّهْرُ هِجْرَانُ

وَأَلْزِمْ هَوَاكَ وَغَرِّدْ فِي مَحَاسِنِ * مَنْ تَهْوَاهُ فَهِيَ لَنَا رُوحٌ وَرَيْحَانُ

وَاطْرَبْ وَأَطْنِبْ وَرَتِّبْ كُلَّ لُؤْلُؤَةٍ * فِي الْوَصْفِ فَصْلُهَا دُرٌّ وَمَرْجَانُ

وَابْسُطْهُ فِي سِلْكِ نَظْمٍ رَاقَ رَوْنَقُهُ * إِذْ زَانَهُ فِي بَسْطِ الشِّعْرِ مِيزَانُ

إلى أن يقول:

مُحَمَّدٌ الْمُصْطَفَى مِنْ صَفْوَةٍ كَرُمَتْ * مِنْهَا الْخَلِيلُ وَمِنْهَا الْقَيْلُ عَدْنَانُ

مُنْذُ عَهْدِ آدَمَ مَا آوَاهُ ذُو نَسَبٍ * إِلَّا وَبَانَ لَهُ نُورٌ وَبُرْهَانُ

ويقول في موضع آخر:

مُحَمَّدٌ خَيْرُ خَلْقٍ * فِي رِفْعَةٍ وَكَمَالِ

اخْتَصَّهُ اللَّهُ عَبْدًا * فِي الْقُبْلِ قَبْلَ الْأَوَالِي

وَجَاءَ فِي الْبُعْدِ شَيْخًا * وَسَيِّدًا لِلرِّجَالِ

بِهِ نَلُوذُ جَمِيعًا * مِنْ كُلِّ خَطْبٍ جَلَالِ

يَقُومُ يَوْمَ التَّنَادِي * مَقَامَ مُحَمَّدٍ مَوَالِي

فِي هَوْلِ تِلْكَ الْمَحَالِ * فِي عِظَمِ ذَلِكَ الْجَلَالِ

ولم يقتصر المدح عند سيدي المختار بن سيدي محمد الامين الكنتي الرقادي على الرسول صلى الله عليه وسلم، بل تعداه لابنته فاطمه عليها السلام فيقول:

أَيا ابْنَةَ سَيِّدِ الْخَلْقِ الْمَعَالِي * جَمَالُكِ مَا لِبَهْجَتِهِ مَثِيلُ

فَوَجْهُكِ يُسْتَضَاءُ اللَّيْلُ مِنْهُ * وَخَدُّكِ وَرْدُهُ غُنْجًا أَسِيلُ

جَبِينُكِ قِطْعَةٌ مِنْ زَبَرْقَانٍ * وَفَرْعُكِ دُونَهُ اللَّيْلُ الطَّوِيلُ

وَطَرْفُكِ إِنْ نَظَرْتِ فَمِنْ غَزَالٍ * وَقَدُّكِ مِثْلُهُ أَلْبَانٌ خَضِيلُ

وَجِيدُكِ جِيدُ إِبْرِيقٍ أَنِيقٍ * وَثَغْرُكِ مِثْلُهُ الْبَرَدُ الْجَمِيلُ

لَقَدْ عَلِمَتْ نِسَاءُ بَنِي قُصَيٍّ * بِأَنَّكِ فَوْقَهُنَّ كَمَا أَقُولُ

وَوَالِدُكِ الْمَلَاذُ إِذَا لَجَأْنَا * قَدْ أَرْسَلَهُ لَنَا الرَّبُّ الْجَلِيلُ

وَبَلَّغَ مَا أَتَى بِهِ لِلْبَرَايَا * وَآمَنَّا بِهِ وَبِمَا يَقُولُ

شَهِدْتُ بِأَنَّهُ الْمَبْعُوثُ حَقًّا * وَأَنَّهُ خَيْرُ مَنْ بُعِثَ الْكَفِيلُ

وَأَنَّ اللَّيْثَ دُونَهُ فِي حَنِينٍ * وَدَأْبُهُ هَكَذَا أَبَدًا يَطُولُ

حَلِيمٌ طَاهِرٌ طَيِّبٌ كَرِيمٌ * جَوَادٌ كَامِلٌ بَرٌّ جَمِيلُ

وَزَوْجُكِ سَيِّدُ الْأَزْوَاجِ طُرًّا * سِوَى الصِّهْرِ الذَّكِيِّ الْفَرْدِ النَّبِيلِ

عَلِيٌّ كَاسْمِهِ فَرْدُ الْمَعَالِي * وَبَابُ مَدِينَةِ الْعِلْمِ الْجَلِيلِ

فالمديح النبوي عند هؤلاء فنّ مستقلّ، وغرض قائم بذاته. أقول ذلك لأنهم أكثروه، وإن كان ما وصلنا منه إلاّ النذر اليسير. يقول سيد البكاي الكنتي:

عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى * خَيْرِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ

وَآلِهِ وَالشُّرَفَا * أَصْحَابِهِ الْغُرِّ الْكِرَامِ

نَبِيُّ مَوْلَانَا الشَّفِيعُ * الصَّالِحُ الْبَرُّ الْمُطِيعُ

ذُو الْقَدْرِ وَالشَّأْنِ الرَّفِيعِ * وَالْغَايِ وَالْآيِ الْجِسَامِ

وَالْجَاهِ وَالْوَجْهِ الْبَدِيعِ * وَالْخَلْقِ وَالْخُلُقِ الْعِظَامِ

قُطْبُ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ * وَبُرْجُ أَدْوَارِ الْجَلَالِ

وَعَيْنُ مَجْمُوعِ الْمَعَالِي * وَأَكْرَمُ النَّاسِ الْكِرَامِ

وَأَرْجَلُ الْقَوْمِ الرِّجَالِ * وَأَعْظَمُ الصَّيْدِ الْعِظَامِ

في قصيدة طويلة بديعة، مفعمة بالعواطف الدينية، والصدق، والإخلاص، يعدّد فيها الصفات الخُلُقية والأخلاقية للنبي صلى الله عليه وسلم. وهذا النوع من المديح لا شبه بينه وبين مدح التكسب أو مدح التملّق الذي يوجّهُه المتكسبون بشعرهم إلى السلاطين، والأمراء، والوزراء، وغيرهم. فهذا المدح يوجّه إلى أفضل خلق الله، محمد صلى الله عليه وسلم، ويطبعه الصدق والمحبة والوفاء. وفي نموذج آخر للشاعر سيدي البكاي يقول:

يَا صَاحِ عُجْ بِالْجَمَالِ * عَلَى الرُّبُوعِ الْبَوَالِي

دِيَارُ سَلْمَى قَدِيمًا * مِنَ اللَّيَالِي الْخَوَالِي

غَيْدَاءُ جِيدَاءُ رُودٌ * كَالشَّمْسِ عِنْدَ الزَّوَالِ[21]

إلى أن يقول:

حَسْبِي لِنَفْسِي شِفَاءٌ * مِنْ كُلِّ دَاءٍ عُضَالِ

مَدِيحُ أَكْرَمِ عَبْدٍ * لِرَبِّهِ ذِي الْجَلَالِ

يمتاز المدح عند الكنتيين أيضاً بالدعاء للممدوح، والإشارة إلى مكانته العلمية والاجتماعية والدينية في المجتمع الصحراوي، مع توظيف صور شعرية أصيلة مستمدة من بيئة الصحراء وأدواتها.

الهجاء:

الهجاء غرض ملازم للشعر العربي عبر العصور، وقد عرفه الشاعر الكنتي لكنه اتسم لدى هؤلاء بالتزام الأدب واحترام الخصم وعدم تجاوز حدود الشريعة. فالهجاء عادة ما يظل محصوراً في مجال الدفاع عن الذات أو القبيلة أو توجيه عتاب لمتصدر علمي أو اجتماعي.

شكل الهجاء غرضاً من أغراض الشِّعر العربي عبر تاريخه الطويل، وقد استعملهُ الشعراء في دَفاع خصومهم، وذكر مساوئهم ومثالبهم. وهو فن من الشعر يتعرّض فيه الشاعر لخصمه بالوقيعة، والسباب، والشتائم، والانتقاد لسبب من الأسباب، وأورد عليه ما نسبه إليه.

وقد تعاطى بعض شعراء كنتة هذا الغرض من الشعر، ونراه بوضوح عند الشيخ سيدي أحمد البكاي بن سيدي محمد الكنتي، وعند الشيخ سيدي المختار الكنتي.

يقول الشيخ أحمد البكاي الكنتي في قصيدة طويلة يهجو بها خصمه سيدي محمود إدوالحاج[22]:

طَرَقَتْ نَفِيسَةُ وَالدُّجَى لَمْ يَنْجَلِ * وَسْنَانُ مِنْ طُولِ السُّرَى فِي الْهَوْجَلِ

بَاتَتْ يُمَثِّلُهَا لِعَيْنِي طَرْفُهَا * فَأَرَّقْتُ لَا لِلْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ

غَيْدَاءُ وَكُنْتِيَّةٌ أُمَوِيَّةٌ * قُرَيْشِيَّةٌ وَمِنَ الطِّرَازِ الْأَوَّلِ

لَا مِنْ يَعِيشَ وَلَا ذُو الْحَاجِيَّةِ * عَجْمَاءَ لَمْ تُنْبَلْ وَلَمْ تَتَنَبَّلِ

لَكِنْ مِنَ الْكُنْتِيِّ يَنْمِيهَا أَبٌ * فَأَبٌ إِلَى عَدْنَانَ غَيْرَ مُضَلَّلِ

ثم يقول: ذاما وهاجياَ

لَا كَالْحَاجِيِّ يَنْسَى إِلْفَهُ * وَهَوَاهُ دَهْرُ الْحُرُوبِ حَتَّى يَنْجَلِي

وَيُطِيقُ ذِرَاعًا بِالْحُرُوبِ ذِرَاعُهُ * لَوْ لَمْ يَضِقْ عَنْ إِلْفِهِ لَمْ يُذْهَلِ

إِنَّ امْرَأً يَنْسَى الْهَوَى يَنْسَى الْوَغَى * شُغْلاً بِهَمِّ مَشْرَبٍ أَوْ مَأْكَلِ

عَقَدَ الْمَآزِرَ لِلْحُرُوبِ يَشُدُّهَا * دُونَ النِّسَاءِ فَدَهْرَهَا لَمْ تُحَلَّلِ

هَلَّا يَشُدُّ إِزَارَهُ عَنْ أَكْلَةٍ * أَوْ شَرْبَةٍ فِي دَرْكِهَا لَا يَأْتَلِي

هُوَ لِلْحُبُوبِ وَلِلطَّعَامِ بِمَنْزِلٍ * وَعَنِ الْحَبَائِبِ وَالْوِصَالِ بِمَعْزِلِ

شَدَّ الْمَآزِرَ فِي الْحُرُوبِ عَنِ النِّسَا * مِنْ حَاجَةِ النِّكْسِ الضَّعِيفِ الرَّمَلِ

وَيَقُولُ عُذْرًا لِلْحَبِيبَةِ قَوْلَةً * جُبْنًا وَضَعْفًا هُوَ أَسْفَلُ أَسْفَلِ

فالشاعر يذكر جبن خصمه ذامّاً له، ويجعله كالنساء شادّاً إزارَه لا للحرب، بل لكنس الخيمة والقيام بما تقوم به النساء. وهمُّه الأكل والشرب، وهو بعيد كل البعد عن ميادين الحروب وشجاعة الرجال، وهذا هجاءٌ ما فوقه هجاء[23].

غير بعيد عن ذلك، يسيء أحد الحساد إلى الشيخ سيد المختار بن أحمد الكنتي إساءة تجعلَه يهجوه، ويذكره بجهله، وبهزال حماره ومركبه، وبأنه أعطى لنفسه من القدر ما ليس له، وليس هو أهل له. فيقول هاجياً في قصيدة رائعة طويلة:

يَا أَيُّهَا الْمُتَحَلِّي غَيْرَ شِيمَتِهِ * أَقْصِرْ فَلَيْسَ وُجُودُ الْعَيْنِ كَالْأَثَرِ
هَذِي مَيَادِينُ كَعٍّ دُونَ غَلْوَتِهَا * حِمَارُكَ الْأَعْوَرُ الْمَهْزُولُ ذُو الدَّبَرِ
وَإِنْ تَزَبَّبَ الْحِصْرِمُ الْمُلْقَى بِغَابَتِهِ * فَلَيْسَ يُشْبِهُ طَعْمَ التَّمْرِ وَالسُّكَّرِ
وَإِنْ تَنَسَّرَ عُصْفُورٌ يُكَذِّبُهُ * بَيْنَ الْبَرِيَّةِ نَقْصُ الْقَدْرِ وَالْقَدَرِ
مَا كَانَ لِلَّهِ دَامَ الدَّهْرَ مُتَّصِلاً * وَمَا لِغَيْرِ الْإِلَهِ مُجَّ بِالضَّجَرِ
لَا يَنْقُصُ الشَّمْسَ قَدْرًا وَهِيَ ضَاحِيَةٌ * نُبَاحُ كَلْبٍ عَلَى الْعِلَّاتِ مُحْتَقَرِ
كُلٌّ عَلَى قَدْرِهِ حُكْمٌ يُصَرِّفُهُ * رَبُّ الْبَرِيَّةِ لَيْسَ الْمِسْكُ كَالْبَعَرِ

إلى أن يقول:

فَحَظُّ كُلِّ لَئِيمٍ شَتْمُ سَيِّدِهِ * فَقِسْ فَلَيْسَ الدَّرَارِيُّ الشُّهُبُ كَالْحَجَرِ
فَلَا يَجُودُ بَخِيلٌ فِي تَصَرُّفِهِ * وَلَا يَسُودُ حَسُودٌ آخِرَ الْعُمُرِ
يُنَازِعُ اللَّهَ فِي فَضْلٍ يُصَرِّفُهُ * بَيْنَ الْكِرَامِ فَيُجْزَى مِنْهُ بِالْغِيَرِ[24]

فالشاعر في هجائه لخصمه ذكر مثاليه، وهاجمه بذكر ما فيه من مساوئ، كالجهل، والإقدام على ما ليس له به علم، وتشبيه نفسه بالكرام وهو ليس منهم، وتنزير خصمه بعصفور لا يشبه النسر في شيء، وأنه كالكلب ينبح على حجر يريد الإساءة إلى الشمس الضاحية وهي بعيدة عنه.

وقد تميّز الهجاء الكنتي بأنه مقيّد بضوابط أهل الزوايا، فلا فحش فيه ولا سباب، بل هو أقرب إلى التعريض والنصيحة أحياناً، وإلى النقد البناء أحياناً أخرى، مع حضور مكثف للقيم الدينية والاجتماعية.

خاتمة:

بعدما طرحناه سابقاً، يتّضح أنَّ الصحراء الكبرى أثّرت الساحة الأدبية بشعر وافر، وأنَّ الكنتيين لهم حظّ وافر من الشعر، استعانوا به في الإخبار عما في مكنونهم من الأحاسيس تجاه أنفسهم واتجاه الآخرين. وقد وقفنا على ثلاثة أغراض فقط لنبيّن من خلالها مدى تمسّك شعراء كنتة بمورثهم اللغوي والأدبي، وأنهم تركوا أثراً نفسياً في هذا المجال. ولو وقفنا على أغراض الشعر جميعها، لتطلّب منا ذلك أن نخرج عن حدود المقال.

لقد مثّلت أغراض الشعر عند الكنتيين الفخر والمدح والهجاء صورة حقيقية لمكانة القبيلة ودورها في البيئة الصحراوية. كما عكست تفاعل الشاعر مع الأحداث والظروف التي عاشها، وعبّرت عن تاريخه وهُويته الثقافية

والدينية. ولا شك أن إسهام شعراء كنتة في إثراء الساحة الأدبية بالصحراء الكبرى أمر مهم يحتاج إلى مزيد من البحث والتوثيق، خاصة أن تراثهم الشعري ما زال بحاجة إلى الجمع والتحقيق والدراسة، لما يتضمنه من قيم وأبعاد حضارية قد تغيب عن الدارس للشعر العربي الكلاسيكي.

المصادر والمراجع المعتمدة:

1/ محمد باي الكنتي، زوايا الشيخ باي، محفوظ، زاوية الشيخ سيدي محمد بن بادي الكنتي بتمنراست، الجزائر.

2/ محمد سليمان الطيب، موسوعة القبائل العربية، بحوث ميدانية وتاريخية، مجلد 3.

3/ عبد القادر زيايدية، دراسة عن افريقيا، ديوان المطبوعات الجامعية.

4/ عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، أضواء على الطرق الصوفية في القارة الافريقية، مكتبة هديولي.

5/ قدور منصورية بن دود نصر الدين، دور قبيلة كنته في تاريخ إقليم توات، مجلة القرطاس، العدد السابع، جانفي، 2018.

6/ سيرتوماس، ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن ابراهيم حسن، عبد الحميد عابدين اسماعيل النجار، مكتبة النهضة المعرية.

7/ رسالة مولاي علي بن مولاي الزين، مخطوط بزاوية كنته، أدرار.

8/ مخطوط، الرحلة، عبد الرحمان عمر التنيلاني، بحوزتنا.

القصيدة مخطوط، مكتبة شيخ الركب النبوي، أقبلي، الجزائر.

9/ مخطوط، خزانة الشيخ بن سيدي محمد بن باس، حي تهقارت، تمنراست.

10/ قصيدة للشاعر حمدين عمر الكنتي، مخطوطة، الشاعر لا يزال حيا.

11/ يحي ولد سيداحمد، ديوان الصحراء الكبرى، ج2.

12/ سيدي محمد الكنتي، الطرائق والثلائد.

13/ القصيدة في كتاب ألفه في اعتقاد اهل السنة للشيخ المختار الكنتي، مخطوط، بحوزتنا.

14/ سعيد القشاط، نماذج من الشعر العربي في الصحراء، شركة مفتقر للطباعة والنشر والتوزيع.

15/ محمود سعيد القشاط، من نقائض الشعر العربي في الصحراء، شركة الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع.

الهوامش والإحالات:

[1] محمد باي الكنتي، النوازل، مخطوط، زاوية الشيخ سيدي محمد بن بادي الكنتي بتمنراست، الجزائر، 2012، ص56.

[2] محمد سليمان الطيب، موسوعة القبائل العربية، بحوث ميدانية وتاريخية، مجلد 3، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997، ص679.

[3] عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصّحراء في مآثر ومؤلّفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2016، ص96.

[4] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، أضواء على الطرق الصوفية في القارة الأفريقية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990، ص37.

[5] قدور منصورية بن دود نصر الدين، دور قبيلة كنته في تاريخ إقليم توات، مجلة القرطاس، العدد السابع، جانفي، 2018، ص53.

[6] سيرتوماس، ارنولد، الدعوة الى الاسلام، ترجمة: حسن ابراهيم حسن، عبد الحميد عابدين اسماعيل النجار، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970، ص365.

[7] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، مرجع سابق، ص37.

[8] رسالة مولاي علي بن مولاي الزين، مخطوط بزاوية كنته، أدرار.

[9] فهرس المشايخ، عبد الرحمان التنلاني، مخطوط، بحوزتنا ص: 60

[10] الشّيخ المختار بن أحمد بن أبي بكر بن محمَّد بن حبيب الله بن الوَافي بن الشّيخ سيدا عمر بن الشَّيخ سيدا حمد البَكَّاي بن سيدي مُحَمَّد الكُنتي بن سيدي علي بن يحي بن عثمان بن يَهَس بن دُومان بن وَرد بن العَاقب بن عقبة المستَجاب، فاتح إفريقيا والمغرب الأقصى."

يقول عنه ابنه" الشيخ سيدي محمد": " ولد رضي الله عنه بكَثِيب أوغالً سنة اثنين وأربعين بعد المائة والألف وتوفي رضوان الله عليه زوال يوم الأربعاء خامس شهر جمادى الأولى سنة ستة وعشرين بعد المائتين والألف /

[11] محمد يحي، ديوان الصحراء الكبرى – المدرسة الكنتية والقصائد النيرات، مطبعة وزارة الثقافة الجزائرية، ج 2، 2009، ص: 70.

[12] الشيخ سيد البكاي بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيد المختار الكنتي، شاعر وأديب وفقيه ولغوي متمكن، ينظر: النقائض للقشاط، شركة الملتقى للطباعة والنشر، ص 18.

[13] القصيدة مخطوط، مكتبة شيخ الركب النبوي، أقبلي، الجزائر.

[14] هو محمد بن المختار (بادي) بن أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد يتصل نسبه بعقبة بن نافع، المعروف في عائلته وبين أهل بلده. 17 بسيدي حم ولد في أسرة محافظة ذات علم وتقوى وورع سنة 1305هـ الموافق 1897م.

[15] مخطوط، خزانة الشيخ بن سيدي محمد بن باس، حي تهقارت، تمنراست.

[16] قصيدة للشاعر أبا حمد بن عمر الكنتي، مخطوطة بحوزتنا والشاعر لايزال حيا.

[17] يحي ولد سيداحمد، ديوان الصحراء الكبرى، ج2، ص84.

[18] يحي ولد سيداحمد، المرجع نفسه، ج2، ص72.

[19] سيدي محمد الكنتي، الطرائق والتلائد، تح: يحي ولد سيد احمد دار المعرفة ج:3 ص: 100.

[20] القصيدة في كتاب المنة في اعتقاد اهل السنة للشيخ المختار الكنتي، مخطوط، بحوزتنا ص: 120.

[21] محمد سعيد القشاط، نماذج من الشعر العربي في الصحراء، شركة الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1996، ص55.

[22] محمد سعيد القشاط، من نقائض الشعر العربي في الصحراء، شركة الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1996، ص 23.

[23] سعيد القشاط، مرجع سابق ص:23.

[24] محمد يحي، مرجع سابق، ج2، ص56.